

الإعلام في ظل الأزمات العامة

قراءة في أهم القضايا الجديدة المتصلة بالممارسة الإعلامية التي أفرزتها أزمة جائحة كورونا

Media in public crises

A reading of new problems related to media practice in Corona pandemic crisis

حسينة أقراد¹

كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3

agred.hassina@univ-alger3.dz

تاريخ الوصول 2022/01/22 القبول 2022/10/18 النشر على الخط 2022/11/05

Received 22/01/2022 Accepted 18/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص

أدى الانتشار الرهيب والمتسارع لفيروس كورونا إلى أزمة صحية عالمية صعبة، أدخلت العالم في حالة من الشلل على كل الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. حاول الإعلام منذ بداية الأزمة تغطية الأخبار المتعلقة بانتشار الفيروس ومصادره وكيفية الوقاية منه، واحتلت أخبار الجائحة الصدارة في الأجندات الإعلامية لوسائل الإعلام؛ التي رافقت إعلاميا هذه الأزمة بالأخبار والتقارير والنقاشات والبرامج المنوعة.

تهدف هذه الورقة العلمية إلى عرض أهم القضايا والإشكالات الإعلامية التي أفرزتها الجائحة؛ من حيث طبيعة تغطية أخبار الجائحة؛ وانتشار الإشاعات والأخبار الملفقة حول فيروس كورونا المستجد؛ ومسألة حرية الصحافة والتعبير، وتداعيات الجائحة على اقتصاديات وسائل الإعلام أو التأثيرات المالية للأزمة على قطاع الإعلام.

الكلمات المفتاحية: الإعلام؛ الأزمات؛ جائحة كورونا؛ حرية التعبير؛ الأخبار الملفقة.

Abstract :

The world is currently experiencing a serious spread of Corona crisis. This crisis affected the economic levels, political and social levels, as all commercial, educational, cultural and other activities stopped.

As a result of imposing quarantine in all countries of the world affected by the virus, with high deaths and injuries, in addition to the economic, social and psychological repercussions of the Corona pandemic on the entire world. From the beginning, the media tried to cover news of the crisis, So COVID-19 topics have become a priority in news via satellite and televisions.

This paper aims to present the most important media issues and problems related to the pandemic. We are interested in the media section of the crisis, the spread of rumors and Fake news, and the issue of freedom of the press and expression, finally the financial impacts of the crisis on the media sector.

Keywords: Media; the crisis ; the Corona pandemic; freedom of expression; fake news.

¹ المؤلف المرسل: حسينة أقراد البريد الإلكتروني: agred.hassina@univ-alger3.dz

مقدمة:

أدى استفحال أزمة فيروس كورونا المستجد إلى شلل الحياة في معظم أنحاء العالم، حيث أثر على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وشهد العالم في هذه الفترة حالة من الخوف والهلع وعدم الاستقرار لدى الناس تذكر بفترات الحروب، من إغلاق شبه كامل للمنشآت الاجتماعية والتعليمية؛ مروراً بتوقف النشاطات الاقتصادية والتجارية والتعليمية؛ وفرض العزل الاجتماعي المنزلي الإلزامي وحضر التجوال في كل دول العالم التي تضررت من تفشي الفيروس بتسجيل الآلاف من الوفيات والإصابات، هذا إضافة إلى التداعيات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لجائحة كورونا على العالم بأسره.

ظهرت خلال هذه الأزمة؛ أهمية فئات معينة في المجتمع كالأطباء والطواقم الطبية الذين أصبحوا في واجه مجابهة الفيروس، بالإضافة إلى موظفي الخدمات العامة. ومن أهم الأدوار المحورية خلال أزمة كورونا ما تقوم به وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة في توفير المعلومات، ونقل الأخبار حول تطور الوضعية الوبائية عالمياً ومحلياً. المؤسسات الإعلامية تعاطت مع أزمة الجائحة من خلال المرافقة الإعلامية والتغطية الإخبارية للجائحة ورصد التطورات والمستجدات بخصوصها، وقد شهدنا التزام القنوات التلفزيونية والمواقع الإخبارية العمومية والخاصة التتبع الآني للأحداث المتعلقة بانتشار الفيروس. بالإضافة إلى قيامها بالدور التوعوي والمجتمعي من خلال تخصيص حيز زمني مهم لنشر الومضات التوعوية طويلة ساعات البث. من جهة ثانية شهدت هذه المرحلة تزايد الصدامات بين سلطات بعض الدول ووسائل الإعلام، وواجهت الصحافة عراقيل وضغوطات عديدة، منها ما يتعلق بممارسة المهنة كحرية التعبير وسلامة الصحفيين أثناء أداء مهامهم، ومنها الصعوبات المالية التي لحقت بالمؤسسات الإعلامية على اختلافها.

1- مدخل

1-1 إشكالية البحث

يمارس الإعلام دوره الوظيفي في المجتمع كسلطة رابعة تمتلك قوة التأثير والاستحواذ على عقول الجماهير والرأي العام، وتتعاظم مكانة ودور وسائل الإعلام خلال الأزمات حيث تصبح الحاجة للحصول على المعلومات وضرورة نشرها أولوية الجميع أفراداً وهيئات ومؤسسات. يتأثر النشاط الإعلامي بالسياق العام للمجتمع وما يشهده من تطورات وأحداث وأزمات. كما أن الممارسة الإعلامية في المجتمعات المعاصرة خلال الأزمات قد تخضع إلى اطر قانونية وتنظيمية ظرفية جديدة، كما أن إدارة المؤسسات الإعلامية تتأثر في الشق المالي بصورة مباشرة. وقد تجلت بوضوح تأثيرات أزمة كورونا طويلة الثلاث سنوات الماضية على القطاع الإعلامي في كل دول العالم، سواء ما تعلق بالممارسة المهنية للإعلام في ظل ظروف صعبة وجديدة، أو ما تعلق باقتصاديات وسائل الإعلام.

ينطلق البحث الحالي وبناء على خلفية الطرح السابق، من إشكالية أساسية تتمحور حول السؤال التالي: ما هي أهم تداعيات جائحة كورونا على قطاع الإعلام وعلى الممارسة الإعلامية؟

1-2. أهداف البحث

تتجلى أهمية موضوع البحث الحالي في محاولة إبراز أهم القضايا الإعلامية التي أفرزتها أزمة كورونا وتداعياتها على الممارسة الإعلامية، ونسعى من خلال معالجة إشكالية البحث فهم بعض ملامح الإعلام خلال الأزمة الصحية العالمية، ومعرفة طبيعة المعالجة الإعلامية لازمة كورونا، بالإضافة إلى مناقشة بعض المسائل الأساسية في الممارسة الإعلامية خلال أزمة كورونا كحرية التعبير، ومواجهة الأخبار الكاذبة، وتحري المصادقية، وتوعية الجمهور، ومواجهة الصعوبات المالية.

3-1 منهجية البحث

يندرج البحث الحالي في البحوث التحليلية الوصفية التي تستند إلى عملية الوصف والتحليل لكشف العلاقات الارتباطية بين المتغيرات والعوامل، وقد اعتمدنا على أسلوب الوصف والتحليل لاستقراء ملامح المعالجة الإعلامية لجائحة كورونا في عديد من وسائل الإعلام عالميا وعربيا، وقد استخدمنا الملاحظة العلمية كأداة أساسية في البحث.

4-1 تحديد المفاهيم

- مفهوم الإعلام: الإعلام هو عملية جمع وتخزين ونقل المعلومات والأخبار من مرسل إلى مستقبل. حسب الباحث عززي عبد الرحمن الإعلام هو "سيرورة انتقال المعلومات من مصدر إلى آخر".¹

- مفهوم الأزمة: هي نقطة تحول في أوضاع غير مستقرة، ويمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوبة إذا كانت الأطراف غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها ودرء لأخطارها، والأزمة عبارة عن خلل يؤثر تأثيرا ماديا على النظام كله، كما يهدد الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها هذا النظام.²

2- التغطية الإعلامية للجائحة بين تحري المصادقية وإثارة القلق والتهويل

شهدت العالم خلال أزمة كورونا توجهها جماهيريا كبيرا نحو استقاء الأخبار والمعلومات المتصلة بالجائحة، ففي الولايات المتحدة، كان لوباء Covid-19 تأثير كبير على الأخبار وطريقة معالجتها، وقد تزامن انتشار وتفشي الفيروس مع إجراء الانتخابات الرئاسية المقررة في أقل من ستة أشهر. وفي مقابلة أجرتها مجلة وسائل الإعلام (la revue des medias) مع إيثان زوكerman 'Ethan Zuckerman' (مدرس وباحث في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ومدون)، أكد أن 70٪ من المحتوى الإخباري المرئي على الويب في الولايات المتحدة يتعلق بفيروس كورونا، سواء كانت مواقع مصنفة على اليسار أو اليمين أو الأكثر تطرفا. إن هيمنة فيروس كورونا على الأخبار ليس فقط في الولايات المتحدة، ولكن أيضا في كل من إيطاليا في إسبانيا وفرنسا والمملكة المتحدة، فبمجرد أن يعصف فيروس كورونا البلاد ويموت مائة شخص بسببه، يصبح بالضرورة الموضوع الساخن الأكثر أهمية. وقد سجل فريق البحث ملاحظة حول اختلاف تغطية أزمة كورونا بين اليسار واليمين في التغطية في الولايات المتحدة، فعندما قارنا بين Fox News - المؤيد بشدة لترامب و- سي إن إن cnn - (الأكثر حيادية وهذا في أوائل شهر مارس، قبل أسابيع من تفشي الفيروس في الولايات المتحدة بشكل خطير)، حيث تناولت قناة 'فوكس نيوز' موضوع فيروس كورونا بدرجة أقل بكثير من حديث شبكة 'سي إن إن' عنه. وقد تعاملوا معه على أنه حدث خارجي يتعلق في المقام الأول بالصين وأوروبا، وليس بالولايات المتحدة على عكس CNN، فالاختلاف الجوهرى بين القناتين كان من حيث الاهتمام بالموضوع.

لكن الاختلاف في مناقشة موضوع الجائحة يتعلق أيضا بالطريقة التي يتحدث بها الناس عن فيروس كورونا، فهناك أصوات من اليمين تقول إن 'دونالد ترامب' تعامل مع الموقف ببراعة وأن الديمقراطيين هم فقط من يحاولون تشويه سمعته. لكن بقية المعلقين يتفقون على أن الولايات المتحدة واجهت وضعاً صعباً جداً.¹

¹ - عبد الرحمن عززي: دراسات إعلامية، مركز الطباعة للجامعة الجزائر، الجزائر، 1992، ص139.

² - عبد المجيد قدرى: اتصالات الأزمة وإدارة الازمات، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2008، ص65.

أشار عالم الاجتماع الإيطالي إدواردونوفيلي 'Eduardo Novelli' من جامعة "روما3" إلى أن عدداً من وسائل الإعلام تباطأت في العمل في بداية الأزمة. وكتب في دراسة بعنوان "إنفومود" تتعلق بما نشرته 257 وسيلة إعلام أوروبية على موقع "فيسبوك" جرت بين الأول من يناير و 14 مارس أن "الصحف تأثرت إلى حد كبير بحكوماتها الوطنية التي قللت، في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، من خطورة الأزمة المقبلة". ويرى هذا الباحث أن وسائل الإعلام "لم تقم بدورها". ونقلت بعضها أخباراً مضللة، مثل "ديلي ميل" في بريطانيا التي أوردت فكرة أن الفيروس التقطه شخص تناول حساء خفاش في الصين. وهذه المعلومات تناقلتها صحف صفراء عديدة تعيش على أخبار الإثارة².

في خضم الأزمة الصحية المرتبطة بفيروس كورونا، تبرز فكرة مسؤولية وسائل الإعلام من حيث المعلومات التي نشاركها والطريقة التي نقدمها بها، حيث يتطلب العرض الإخباري التأكيد على المعلومات المتعلقة بالفيروس من خلال تكرار الرسائل الإعلامية بخصوصه، وهذا بالنظر إلى أهمية الإعلام الصحي والمسؤولية في توعية الناس وتحسيسهم، فالمعلومة الصحية تستوجب الدقة والتحري كون المعلومات الخاطئة والأخبار الكاذبة تؤدي إلى تغليب الناس ما يشكل خطراً على حياتهم. وتنعكس هذه المسؤولية على نوعية الخطاب الإعلامي الموجه للجمهور من حيث الشخصيات والخبراء الذين يتم الاستناد إلى استشهاداتهم وتحليلاتهم، ومن حيث نوعية المعلومات المقدمة التي ينبغي أن تتصف بالعلمية من أجل وضع حد لنشر الخطب المضللة والتأمرية.

وحول طبيعة معالجة الأخبار ونقل المعلومات الصحية نجد الكثير من الانحرافات في كيفية التعامل مع المعلومات الصحية، وهذا يمكن أن يكون بسبب ضعف تجربة وسائل الإعلام في مجال الإعلام الصحي والتعاطي مع الأخبار العلمية خلال الأزمات، حيث انتشرت الخطابات المخالفة للمنهج العلمي، التي لا تستند إلى حقيقة مثبتة علمياً بل تعتمد على آراء شخصية.

ومن الأمثلة المتعلقة بالإعلام الفرنسي التي وردت في موقع numerama نجد حصة 'L'Heure des Pro' عبر CNews التي استندت في تحليلها للوضع الوبائي على المواقف المشككة في المناخ وبالتالي المناهضة للعلم. يمكننا أيضاً استحضار الخطب المضللة التي تم طرحها على SudRadio، ثم إعادة مشاهدتها على YouTube مئات الآلاف من المرات، وقد عرف المشهد الإعلامي في فرنسا بروز شخصيات مثل 'كريستيان بيرون' (Christian Perronne)، وجان فرانسوا توسان (Jean-François Toussaint)، و'ديدييه راوولت' (Didier Raoult)، ولوران توبيانا (Laurent Toubiana) كمطمئنين للجمهور «nasséristes»، حيث يركز شعارهم على تكذيب ما يعتقد العامة من الناس: فقد أكدوا على أن الموجة الثانية غير موجودة؛ أو أن الوباء لن يكون خطيراً جداً وأن التهديد سيكون "مصطنعاً"؛ وأن كل شيء يجب أن يعتمد على المناعة الجماعية عن طريق السماح للفيروس بالانتشار؛ وأن الكلوروكين سيعمل بفعالية. إن مثل هذه التصريحات لم تكن تستند إلى حقائق علمية، بل إنها لاقت انتقادات شديدة من قبل بقية المجتمع العلمي بسبب هجومهم على الحقائق المثبتة

¹- Xavier Eutrope : Les médias américains doivent se demander s'ils ne reproduisent pas le schéma,(08-06-2020), consulté le 23-02-2021.<https://larevuedesmedias.ina.fr/medias-americains-couverture-mediatique-politique-trump-biden-coronavirus>.

²- جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم. (28 03، 2020). تاريخ الاسترداد 25 02، 2021، من <https://www.dw.com/ar/%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9--52948459>

علميا. وهنا تقع المسؤولية على وسائل الإعلام بالدرجة الأولى نظير اختيارهم لهاته الشخصيات للمراهنة على الأخبار المثيرة والمعلومات المضللة، ما يعني أنهم يتحملون مسؤولية كبيرة في المنعطف الخطير الذي تأخذه الأزمة.

وبخصوص شروط الإعلام الصحي استشهد عالم المناعة الأمريكي أنتوني فوتشي 'Anthony Fauci' بثلاثة جوانب مهمة لكسب ثقة الجمهور في مجال التواصل العلمي. هذه الشروط الثلاثة يمكن التحقق منها بسهولة، قبل وأثناء وبعد المقابلة الصحفية: أولا الاستناد إلى الحقائق والبيانات الحقيقية؛ ثانيا الاعتراف بعدم امتلاك المعلومة أو الحقيقة؛ ثالثا السعي إلى تحقيق الفهم لدى الآخر.¹

يبدو أن الهاجس الأساسي للإعلام هو طمأنة الناس، ويمكن القول أن الاعتماد على تصريحات وشهادات بعض الخبراء المظلمة يمثل مشكلة هيكلية في إدارة الأزمة الصحية، فالصحة العمومية على المحك، وحياة المواطنين والعاملين في السلك الطبي معرضة لخطر الإصابة بالفيروس؛ لذا يستدعي الوضع الكثير من الصدق والمصادقية في عرض الأخبار والمواقف العلمية التي تستند إلى منهجية سليمة، وقد كان لزاما مقابلة أصحاب الأخبار المظلمة أو المشكوك في مصداقيتها وصحتها بعلماء ذوي مهارات مثبتة أو صحفيين علميين متخصصين؛ وبالتالي تجنب الطرح الأحادي للكثير من المواقف التي ساهمت في تغليب الرأي العام وساهمت في تعميق الأزمة أكثر من حلها.

ظاهرة أخرى تم رصدها حول المعالجة الإعلامية لازمة كورونا؛ تتعلق بدعوة الممثلين أو المطربين عبر برامج الفضائيات التلفزيونية والمحطات الإذاعية لإبداء رأيهم في الموضوعات العلمية، وهذا الأمر يتنافى مع متطلبات الإعلام الصحي الذي أساسه الموضوعية والجدية في معالجة وطرح الموضوعات. ويمثل اللجوء إلى هاته الشخصيات انحرافا مهنيا في العمل الإعلامي الذي ينبغي أن يضمن حق المواطن في الإعلام النزيه والموضوعي. فإذا كانت الشخصيات العلمية تثير بعض القضايا المعقدة بالنظر إلى تفسيراتها وتحليلاتها للوضعية الوبائية، وفي بعض الأحيان تناقضات وخلافات في مناقشة موضوعات فيروس كورونا المستجد، فكيف هو الوضع بالنسبة للموقف الغير علمي؟ الذي من شأنه تزييف الحقيقة والواقع أمام المشاهد الذي يكون غالبا منجذبا ومنبهرًا بالشخصية التمثيلية؛ وقد يتجه أكثر إلى تصديقها أو تقليدها وتبني آرائها ومواقفها وفي هذه القضية الأكثر خطورة على صحة وحياة الناس.

لقد فشل الإعلام المعاصر في تطوير خطاب إعلامي صحي فعال قادر على الوصول إلى كافة فئات الجمهور والتأثير فيها، كما أن هناك قصورا في الإعلام التلفزيوني بشأن تقديم برامج صحية تجذب المتلقي وتؤسس لثقافة صحية مستدامة من جانب آخر، كما فشلت كثير من المؤسسات الإعلامية في استقطاب إعلاميين محترفين قادرين على التعاطي مع المحتوى الصحي، أو استقطاب مختصين في المجال الصحي قادرين على تقديم المحتوى الصحي بمهنية وفعالية عالية.

إن فعالية الإعلام الصحي تتحقق بتوافر مجموعة من المحددات التي تهدف إلى إعادة النظر في تقييم الأفراد والمجتمعات والدول لدور الإعلام الصحي في مسيرة البشرية. وأبرز هذه المحددات: الاستثمار في المحتوى الإعلامي رفيع الجودة، يقرب عامة الناس من النتاج العلمي الذي يهتم بصحة الإنسان ويحافظ على البيئة للأجيال القادمة. إذ يحتاج المحتوى الإعلامي إلى معالجة خاصة على

¹- Marcus Dupont-Besnard. (28 10, 2020). Experts et coronavirus : les médias doivent cesser leurs invitations irresponsable, consulté 25-02-2021. <https://www.numerama.com/sciences/661379-experts-et-coronavirus-les-medias-doivent-cesser-leurs-invitations-irresponsables.html>.

أيدي محترفين مدركين لأسس التواصل الفعال، الأمر الذي يستدعي استثماراً مالياً وبشرياً يليق بأهمية الصحة. بالإضافة إلى إحداث تغييرات جذرية في السياسات التحريرية لوسائل الإعلام، ومن ثم إعادة ترتيب أولوياتها حتى تدرج الإعلام الصحي ضمن أولوياتها.¹ في العالم العربي تصدرت أخبار جائحة كورونا الأجندة الإعلامية كسائر دول العالم، نظراً إلى أهمية الأحداث وتسارعها خاصة مع اشتداد حدة الأزمة بعد انتشار الفيروس في كافة الدول العربية، وقد تميزت التغطية الإخبارية للجائحة بالاعتماد على الجهات الرسمية كمصادر أساسية للمعلومات بخصوص الوباء، بدون العودة إلى الواقع لنقل الحقيقة بكل جوانبها، لاسيما ما تعلق بنقص المعدات الطبية في المستشفيات، ومدى توفير الإمكانيات اللازمة للتكفل بالمصابين بالفيروس، وظروف تطبيق إجراءات العزل الصحي.

3- أزمة كورونا فرصة لاسترجاع الجمهور واستعادة ثقته

يمكن القول أن جائحة كورونا كانت بمثابة تحدٍ حقيقي لوسائل الإعلام في العالم، لاسيما مع ازدياد الاهتمام العالمي بالأخبار المتعلقة بأزمة كورونا، فقد لزم على وسائل الإعلام العمومية والخاصة التعاطي الدائم مع الأزمة وتوفير الأخبار والمعلومات بكثافة عالية خلال فترة الجائحة، تلبية للاحتياجات الملحة للجمهور إلى معرفة المستجدات حول تطور الوضعية الوبائية أول بأول، فمع ارتفاع مخاوف الناس والحكومات من سرعة انتشار الفيروس وشراسته وتداعياته الخطيرة؛ ومع فرض إجراءات العزل الصحي وبقاء المواطنين لفترة طويلة في منازلهم؛ أصبح الحصول على المعلومات والأخبار حول الفيروس أولوية من أولويات الأفراد والمؤسسات، ذلك أن سياق الأزمة وتداعياتها يفرضان حالة من الهلع والخوف، خاصة مع انتشار الأخبار الملفقة أو المزيفة عبر وسائل الاتصال لاسيما الشبكات الاجتماعية.

وقد كشف استطلاع أجراه معهد "إدلمان" خلال فترة ما بين السادس والعاشر من مارس؛ أن أكثر من تسعين في المائة من الإيطاليين واليابانيين والكوريين يطلعون مرة واحدة في اليوم على الأقل على التطورات المرتبطة بالفيروس، وأكثر من نصفهم يقومون بذلك أكثر من مرة يومياً.

وفي هذا الإطار يمكن أن تشكل هذه الأزمة فرصة لوسائل الإعلام لاستعادة ثقة قرائها، كما أنها فرصة للقراء الذين يخضعون للعزل لاختيار وسائل الإعلام التي يثقون بها. حيث أكد المؤرخ 'باتريك إيفينو' (Patrick Evino) رئيس المجلس الفرنسي لأخلاقيات الصحافة، أن جائحة كورونا "لحظة مهمة لوسائل الإعلام (...) لتثبت أنها في خدمة الجمهور أولاً بمعلومات جديرة بالثقة عبر انتقائها". وعلى سبيل المثال عملت مدونة وكالة "فرانس برس" لكشف الأخبار المضللة على تكذيب الشائعات بخصوص مصدر الفيروس وكيفية اختفائه. ومن جانبها قالت مديرة الإعلام في "بي بي سي"، التي تشهد مستويات حضور قياسية: "في إطار الوضع الصحي الطارئ، توفير أنباء جديرة بالثقة ودقيقة أمر حيوي"، مؤكدة أن هذه المؤسسة الإعلامية البريطانية العامة

¹ - محمد الأمين موسى: محددات تغطية الفضائيات الإخبارية لجائحة كورونا في عصر الرقمنة، مركز الجزيرة للدراسات الإعلامية، 9 أبريل 2020، ص 6-

<https://studies.aljazeera.net/ar/profile/985.7> الاستشارة 20-01-2021 - الساعة 10:00

"لديها دور أساسي لتلعبه". أما ريكاردو كيرشوبوم، الذي يعمل في صحيفة "كلارين" اليومية الأرجنتينية الأوسع انتشاراً في البلاد، فقال إن "القراء يبحثون عن تحليلات إضافية وخدمات إخبارية وشهادات"¹.

تشكل هذه الأزمة اختباراً لوسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، والتي تسعى إلى كسب ثقة الجمهور والمحافظة عليها. وقد جعلت الجائحة وسائل الإعلام تعدل شبكتها البرمجية، وتكيفها مع المتطلبات الجديدة التي فرضها فيروس كورونا؛ من ضرورة التغطية الإخبارية وتوفير المعلومات المكثفة والمتخصصة بشأن الموضوع المستجد بالتقارير والنشرات الإخبارية المباشرة والبث المفتوح والبرامج المتخصصة، إذ عمدت القنوات الإذاعية والتلفزيونية بالخصوص إلى إنتاج برامج جديدة خاصة بالموضوع، أو تخصيص بعض الفقرات أو الحلقات لبرامج قائمة لمعالجة موضوع الجائحة. بالإضافة إلى برامج التحسيس والتوعية التي تخللت البث البرامجي ومواقعها عبر الإنترنت. نذكر على سبيل المثال برنامج 'التشخيص الطبي' وبرنامج 'كورونا سؤال وجواب' من قناة سكاي نيوز عربية. وقد استحدثت بعض القنوات صفحات عبر مخصصة لمناقشة مواضيع الجائحة كصفحة "أسأل طبيب العربية نت عن فيروس كورونا" لقناة العربية مع تخصيص رابط يتصدر الصفحة الرئيسية 'فيروس كورونا'.

وقد عملت وسائل الإعلام الجزائرية على التكيف مع الوضعية الوبائية كما تحول اهتمام البرامج بما فيها الرياضية، إلى الحديث عن الوباء وتدابير الوقاية ورصد أخباره ونشر حملات التوعية والتحسيس. ومن برامج التلفزيون العمومي التي تناولت موضوع الجائحة البرنامج السياسي "دائرة الضوء"، لتناول وباء كورونا من زوايا المجهود الدولي والمخاطر المترتبة عليه، والبرنامج الرياضي "دوري المحترفين"، الذي تناول تأثير الوباء في المشهد الرياضي في ما يتعلق بتوقف الدوري المحلي والدوريات في مختلف أنحاء العالم، وكيفية وقاية الرياضيين من الوباء، ومدى مساهمة الرياضيين والأسماء المعروفة في حملة التوعية من الفيروس. ونظم التلفزيون العمومي يوماً مفتوحاً حول فيروس كورونا المستجد عبر قنواته الخمس، تم خلاله واستضافة مختصين في مجال الصحة، ومسؤولون من القطاعات المختلفة، كما فتحت الإذاعة الحكومية قنواتها الثلاث ليوم مفتوح خصص لمواجهة كورونا والتدابير المتخذة وتحسيس المواطنين بالمخاطر وضرورة دعم المجهود العام لمواجهة الفيروس.

ينطبق الأمر أيضاً على الصحف اليومية الجزائرية التي تناولت عبر صفحاتها الرئيسية موضوع وباء كورونا وتطوراتها محلياً ودولياً، وكل ما تعلق بالوضع الصحي في الجزائر وتداعياته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية كأزمة انهيار أسعار النفط وأسعار السلع الأساسية، ونجد ضمن المضمون الإخباري صفحات كاملة لمتابعة التدابير التي اتخذتها الحكومة المحلية لمواجهة انتشار كورونا، وكذا التركيز على النصائح الصحية والطبية الموجهة للعامة للوقاية من الفيروس.

4- مسألة حرية التعبير في ظل الجائحة وانتشار الأخبار الملوقة (حرية الصحافة في شبك كورونا)

يمثل الحق في حرية الرأي والتعبير بالإضافة إلى الحق في استقاء المعلومات الصحيحة من الحكومات، وحماية الصحفيين، مبدأ القانون الدولي لحقوق الإنسان، ففي 9 إبريل/نيسان الماضي أعربت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان "ميشيل باتشيليت" عن قلقها إزاء التدابير المتخذة في بعض البلدان للحد من حرية الإعلام والتعبير، مؤكدة مخاوفها من استخدام خطر ما يسمى 'مكافحة التضليل' كذريعة لتكليم أفواه النقاد.

¹ - جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم. م. س. ذ.

وقد سلط الضوء تقرير المرصد الاورومتوسطي حول حرية الصحافة على الانتهاكات التي يتعرض لها الصحفيون في ظل أزمة كورونا، والإجراءات التي تعرقل عملهم في ظل هذه الجائحة، بالإضافة إلى استعراض بعض الدول العربية والأوروبية التي اتخذت إجراءات تقييدية لحرية الصحافة فضلاً عن الموقف القانوني إزاء هذا النوع من الانتهاكات. وحسب المعهد الدولي للصحافة تنوعت الانتهاكات منذ بداية جائحة كورونا ما بين اعتقال، وقيود على الوصول للمعلومات، ورقابة، واتهامات بتنظيم أخبار كاذبة ونشرها عبر الإعلام الاجتماعي وغيرها من وسائل الإعلام.¹

1-4. بين تحري مصداقية الأخبار ومواجهة الردع والعقوبات

أثّرت أزمة فيروس كورونا على الصحافة والصحافيين بشكل كبير، وباتت حرية الإعلام في خطر أكثر من أي وقت مضى، بتأثير أزمة كورونا على الصحفيين والمؤسسات الإعلامية في كل أنحاء العالم، إذ أصبح الدفاع عن حرية الصحافة أساسياً وضرورياً. استخدمت العديد من الأنظمة السياسية حول العالم وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حجة فيروس كورونا لقمع حرية الإعلام. في وقت أصبحت الأخبار الكاذبة فيه مشكلة حقيقية يواجهها الإعلام، تم إقرار قوانين عدة لمحاربة الأخبار الكاذبة حول الفيروس؛ ولكن أيضاً لاستخدامها للتضييق على الصحفيين وممارسة حرّيتهم في التعبير. وبالتالي يمكن لغالبية القوانين التي تم إقرارها في بعض دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لمحاربة الأخبار الكاذبة أن تكون أداة قويّة بيد الحكومات لقمع الصحافة وحرّية تعبير الناشطين والصحافيين وممارسة الرقابة المشدّدة عليهم.

خلال سنة 2020، أطلقت منظمة يونسكو حملة لدعم اليوم العالمي لحرية الصحافة تحت عنوان: 'صحافة من دون خوف ولا محاباة'. في [التقرير](#) الذي نشرته المنظمة لهذه المناسبة، اعتبرت المنظمة أنه على شركات التكنولوجيا أن تكون أكثر شفافية في التعامل مع إجراءاتها للحد من الأخبار الكاذبة، أو ما سمّته منظمة الصحة العالمية 'وباء المعلومات'. بالنسبة لمنظمة يونسكو، "تم تقليص حرية التعبير وحرية الصحافة من خلال القوانين المقترحة لمحاربة الأخبار الكاذبة. وضعت هذه القوانين الصحفيين تحت خطر قانوني، غالباً بسبب نشر انتقادات أو المبادرة بنقاش السياسات الحكومية. بالإضافة إلى أن الحد من حق الوصول إلى المعلومات بسبب منع الأفراد في بعض الأحيان من الوصول إلى المعلومات الرسمية. أصبح اختراق الخصوصية من خلال المراقبة المشدّدة (المتصلة بمتابعة الأشخاص المصابين بالفيروس أو بهدف فرض الحظر) غير متناسب وقد يستمرّ بعد الأزمة (أو الإفراط في استخدامه)."²

لا يرى الجميع دور الإعلام كدور محايد، فعندما تدخل المصالح السياسية في الأمر، تحدث صدامات بين السلطات ووسائل الإعلام، خاصة الأجنبية منها. وكانت منظمة "مراسلون بلا حدود" قد عبرت عن قلقها من استخدام حكومات بعض الدول لأزمة كورونا كذريعة لتحجيم حرية الإعلام، فحسب بيان المنظمة أنه منذ بدء أزمة كورونا، شكك العديد من المراسلين والصحفيين في الأرقام الرسمية التي أعلنتها بعض من الدول، منتقدين نقص الشفافية في التعامل مع الأزمة.

¹- تقرير المرصد الاورومتوسطي لحقوق تقرير المرصد. (05، 2020). حرية الصحافة قيود متزايدة باسم كورونا. تاريخ الاسترداد 27 11، 2020، من

<https://euromedmonitor.org/uploads/reports/coronamedia.pdf>: الساعة 11:00

²- موقع AFE. (03 05، 2020). كورونا، حرية الصحافة وفيروس كورونا. تاريخ الاسترداد 28 11، 2020، من

<https://www.afemena.org>: الساعة 10:00

ففي سوريا، تحدث بيان المنظمة عن "ثقب أسود" في المعلومات حول فيروس كورونا، حيث نفت المصادر الرسمية لأسابيع وجود إصابات بالفيروس في البلاد، ثم أعلنت بعد شهر عن إصابة واحدة فقط، وهو ما يثير الشك، بحسب "مراسلون بلا حدود".

أما في العراق، فقد قامت هيئة الإعلام والاتصالات بتعليق رخصة وكالة "رويترز" للأنباء بعد نشر الأخيرة تقريراً عن إخفاء السلطات العراقية الأرقام الحقيقية لعدد المصابين بفيروس كورونا. وقالت الهيئة في بيان لها عبر صفحتها على فيسبوك أنها قررت تغريم وكالة رويترز بمبلغ 25 مليون دينار (حوالي 19 ألف يورو) وتعليق رخصتها لمدة ثلاثة شهور متهمه الوكالة بنقل أخبار كاذبة و"تعريض الأمن المجتمعي للخطر". وكانت بعثة الأمم المتحدة بالعراق أشادت في بيان صحفي بالتدابير التي اتخذتها السلطات العراقية لمكافحة فيروس كورونا، ورفضت "احتمال أن تعتمد الحكومة إخفاء أو تزييف النتائج". وأثارت قرار وقف وكالة رويترز في العراق ردود فعل مختلفة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث عبر بعض النشطاء على موقع تويتر عن رفضهم لقرار السلطات، بينما رأى البعض الآخر أن تصرف رويترز كان غير مهني حيث جاءت أرقامها مخالفة لأرقام مكتب منظمة الصحة في العراق.

وفي مصر سحبت الهيئة العامة للاستعلامات بمصر اعتماد الصحفية "روث ميكالسون" بالغانديان البريطانية بعد نشرها تقريراً اعتمد على تغريدة لباحث كندي عن إصابة عشرات الآلاف من المصريين بفيروس كورونا، وهددت باتخاذ الإجراءات القانونية في حالة عدم اعتذار الصحيفة. كما أرسلت السلطات المصرية إنذاراً لمدير مكتب 'نيويورك تايمز' في مصر بالرجوع إلى "المصادر الرسمية في الأخبار التي يتم بثها عن مصر والالتزام بالقواعد المهنية" بعد نشره للتغريدة ذاتها. ونشرت الغارديان مقالاً لـ"تيموثي إيه قلدس"، الباحث بمركز "التحرير لسياسات الشرق الأوسط"، جاء فيه أن رد فعل الحكومة المصرية تجاه التقارير الصحفية عن أزمة كورونا يبدو وكأنه "رد على هجوم شخصي، وليس أزمة صحية"، وأضاف أن ما حدث مع "ميكالسون" يثير التساؤل عما إذا كانت السلطات لديها ما تخفيه بالفعل، كما كانت منظمة "مراسلون بلا حدود" ذكرت أن المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام في مصر يغلق المواقع الإخبارية بتهمة "نشر الأخبار الكاذبة".¹

في الجزائر شددت الحكومة الجزائرية إجراءات الرقابة على الصحف ووسائل الإعلام المحلية بشأن نشر التقارير والمعلومات والإحصائيات حول الأزمة الوبائية وانتشار فيروس كورونا. وكان الرئيس الجزائري 'عبد المجيد تبون' قد انتقد بشدة خلال اجتماع الحكومة ما سماه بـ "الأقلام والأصوات الناعقة التي لا يحلو لها سوى التهويل والتشكيك والنيل من معنويات المواطن"، وأمر وزير الاتصال باتخاذ كل الإجراءات لمنع نشر أي إحصائيات عن وضعية حالات الإصابة في البلاد خارج الوزارة باعتبارها الجهة الوحيدة المخولة بذلك.

كما أقرت الحكومة برئاسة الرئيس 'عبد المجيد تبون' مشروع قانون لتعديل قانون العقوبات في البلاد لتجريم نشر أي أخبار كاذبة من شأنها أن تضر بـ "الوحدة الوطنية"، حيث يمنح القانون الجديد السلطات صلاحيات لمعالجة المعلومات الخاطئة حول الفيروس، كما يفتح الباب أيضاً أمام الرقابة المحتملة لكافة وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، ويفرض عقوبات صارمة على كل من يخالف تصريحات الحكومة الجزائرية، حيث تتراوح العقوبات بين عامين إلى خمسة أعوام في

¹ - سلمى حامد. (3، 2020). حين تصبح وسائل الاعلام ضحية جديدة لازمة كورونا. تاريخ الاسترداد 18 2، 2021، من <https://www.dw.com/ar/%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%> -

السجن، وتصل الغرامات المالية إلى 3600 يورو. وقد اعتبرت المنظمات المدافعة عن حقوق الصحفيين هذا النوع من الإجراءات تقييداً لحرية التعبير، كمنظمة اليونسكو التي ترى أنه تم تقليص حرية التعبير وحرية الصحافة من خلال القوانين المقترحة لمحاربة الأخبار الكاذبة. حيث وضعت هذه القوانين الصحفيين تحت خطر قانوني، غالباً بسبب نشر انتقادات أو المبادرة بنقاش السياسات الحكومية. بالإضافة إلى أن الحد من حق الوصول إلى المعلومات بسبب منع الأفراد في بعض الأحيان من الوصول إلى المعلومات الرسمية.¹

4-2. نشر الدعاية وممارسة التظليل بحجة مواجهة الأخبار الكاذبة

واجهت عدة دول خلال الأزمة الصحية العالمية اتهامات بعدم الشفافية في إعلان أرقام كورونا. كان الرئيس الأمريكي 'دونالد ترامب' شكك في الأعداد التي أعلنتها بكين والتي أظهرت انحسار الإصابات بفيروس كورونا في الصين، حيث قال رداً على سؤال أحد الصحفيين: "الأعداد الصادرة من بكين تبدو إيجابية أكثر من اللازم، وذلك على عكس ما شهدنا وعكس التقارير". كما اتهم وزير الخارجية الأمريكي 'مايك بومبيو' الصين خلال مؤتمر صحفي الشهر الماضي بعدم الشفافية في إعلانها لحالات الإصابة لديها. وبحسب ما نقلت وكالة 'بلومبيرغ' عن مصادر استخباراتية أمريكية، فإن السلطات الصينية تكذب في تقاريرها عن عدد الإصابات الحقيقي. وأضافت 'نيويورك تايمز' في السياق ذاته نقلاً عن مصادر استخباراتية أمريكية أن الصين نفسها لا تعلم حجم الإصابات الفعلي بفيروس كورونا، بسبب عدم قيام الموظفين في المدن المصابة بالإبلاغ عن أرقام أعلى من الأرقام الرسمية خوفاً من التعرض للعقاب. الصين ليست الدولة الوحيدة التي المشكوك في أرقامها، فنيويورك تايمز كانت نشرت تقريراً يشكك فيه خبراء عن إعلان كوريا الشمالية عدم وجود حالات إصابة بفيروس كورونا لديها، وقد ذكرت تقارير أخرى إخفاء دول، ومنها السعودية ومصر وإيران، الأرقام الحقيقية لإصابات كورونا فيها.²

وقد شكل تفشي الفيروس تحديات لوجستية غير مسبقة لوسائل الإعلام بسبب الرقابة الحكومية على الأخبار؛ ففي حين أن الأرقام الرسمية، أكثر من 170 ألف إصابة و4700 وفاة في جميع أنحاء قارة إفريقيا وهي ترتفع أبطأ من أي مكان آخر في العالم، لا تزال الحكومات تفرض قيوداً صارمة. وقد أعاقت عمليات الإغلاق إعداد التقارير الصحفية، وأجبر التباعد الاجتماعي الصحفيين على العمل من بعد مع ضعف الإنترنت أو إمدادات الكهرباء، وأضافت معدات الحماية تكاليف جديدة. ميدانياً، ذكرت تقارير أن قوات الأمن تضايق الصحفيين الذين يحاولون القيام بعملهم في الشارع. وقالت لجنة حماية الصحفيين في غانا، إحدى أكثر الدول انفتاحاً في غرب إفريقيا، إن الجنود الذين يباشرون تطبيق القيود المرتبطة بفيروس كورونا "اعتدوا" على اثنين من الصحفيين في أبريل 2020. كما استحدثت مجموعة من الدول الإفريقية بما في ذلك جنوب إفريقيا تشريعات تجرم نشر معلومات مضللة عن الوباء. وتصر السلطات على أن الإجراءات ضرورية لمواجهة سيل من الأكاذيب الخطيرة التي تحيط بالفيروس. لكن العاملين في مجال الإعلام قالوا إن الصحفيين يحاولون بالفعل القيام بمهمة مكافحة "الأخبار المزيفة"، وإن هذه القوانين تستخدم على الأرجح لإسكاتهم. وقال 'ليختونستوكونيا' رئيس فرع ليسوتو بمعهد الإعلام بجنوب إفريقيا إن صحفيين في هذه المملكة

¹ - كورونا، حرية الصحافة وفيروس كورونا. (03 05، 2020). موقع AFE. تاريخ الاسترداد 28 11، 2020، الساعة 10:00 من <https://www.afemena.org>

² - سلمى حامد، م س ذ.

الصغيرة تلقوا تحذيراً بموجب قواعد جديدة لنشر المعلومات الخاطئة. وعززت حكومة أندريه راغولينا في مدغشقر سيطرتها، وفرضت على وسائل الإعلام نشر المعلومات الرسمية فقط حول الوباء. وبالنسبة لمديرية تلفزيون "ام بي اس" 'نادية راوليمانالينا' ترى أن "النظام يستغل" هذا الواقع "لنشر الدعاية؛ كما أنها تعد الرسائل المتعلقة بكوفيد-19 تحتل مكاناً مهماً في خطابات الرئيس والتي يجب بثها بالكامل، واشتكت من أن الصحفيين لا يمكنهم التحقيق في القضايا الرئيسية، حيث تخشى المصادر "الذهاب إلى السجن لنشر معلومات كاذبة؛ وقالت إن المعلومات الرسمية غير مكتملة والدولة أخفت المعلومات الحقيقية التي تخاطر بتشويه صورتها".¹

في الجزائر دعا الرئيس الجزائري 'عبد المجيد تبون' الحكومة إلى اتخاذ إجراءات لمنع انتشار الأخبار الكاذبة حول تفشي الفيروس في البلاد، وكإجراء رسمي أولي لمواجهة الأخبار الكاذبة أو الملفقة بشأن الأرقام والحصيلة اليومية للإصابات بالفيروس وبأمر من الرئيس تبون؛ دعت وزارة الاتصال الصحافة إلى التقيد بنشر معلومات الجهة المختصة بمتابعة الوباء وزارة الصحة والهيئة العلمية لرصد ومتابعة فيروس كورونا، وهذا بعد تضارب الأرقام التي نشرتها الصحف الوطنية حول عدد الإصابات والوفيات؛ حيث اعتبرت بعض الصحف نشرها للإحصاءات الجديدة سبباً صحفياً تتنافس من أجله المواقع الإخبارية والفضائيات. وحذرت وزارة الاتصال من أن كل ما ينشر خارج هذا المصدر سيعتبر تهويلاً ومغالطة، وتغليطاً متعمداً مضراً بالمواطنين وبالرأي العام عموماً، يتحمل صاحبه المسؤولية القانونية والتبعات القضائية الصارمة. حيث نشرت وزارة الاتصال، بياناً تحذيرياً موجهاً إلى وسائل الإعلام الوطنية بكافة أنواعها، أكدت فيه على ضرورة التقيد والالتزام بنشر المعلومات المتعلقة بتطور وباء كورونا من وزارة الصحة والهيئة العلمية المنصبة أخيراً، وتفادي التهويل الذي يضر الرأي العام. واعتبرت الوزارة أن "كل ما سينشر خارج هذا المصدر سيعتبر تهويلاً وتغليطاً متعمداً مضراً بالمواطنين وبالرأي العام عموماً يتحمل صاحبه المسؤولية القانونية والتبعات القضائية الصارمة"، وحثت وسائل الإعلام الوطنية على "المساعدة في بعث الطمأنينة والمساعدة على تجاوز هذه المحنة العابرة".

كما وجهت وزارة الصحة أداء الصحافة على ضوء الخطة التي رسمتها الدولة لمواجهة الوباء، باعتماد القنوات الرسمية مصادراً للمعلومات، وإلزام الصحفيين بضوابط ممارسة النشاط الإعلامي في ظل الظروف الاستثنائية. وأصدرت وزارة الصحة، تعليمات مشددة إلى المسؤولين المحليين لقطاع الصحة بعدم التصريح بأي أرقام أو معلومات تخص عدد الإصابات بوباء كورونا على المستوى المحلي، وحصر هذه الصلاحية لدى الهيئة الوطنية لرصد ومتابعة انتشار وباء كورونا التي كلفها الرئيس تبون بذلك. ومن جهتها أصدرت سلطة ضبط السمعي البصري بياناً، دعت فيه وسائل الإعلام المرئية إلى التقيد بما تنشره الجهات الرسمية بشأن المعلومات حول كورونا، وتفادي بث ما من شأنه إحباط معنويات المواطنين وإشاعة جو من عدم الثقة بينهم وبين

¹ - AFP. تداعيات كوفيد-19 ثقيلة على وسائل الإعلام في إفريقيا. (07 06، 2020). تاريخ الاسترداد 27 02، 2021، من <https://www.france24.com/ar/20200607-%D8%AA%D8%AF%>

مؤسسات الدولة، وحذرت السلطة من التعاطي مع شبكات التواصل الاجتماعي وعدم اتخاذها مصدراً رسمياً، والاكتفاء بنشر معلومات لها قيمة إخبارية وتفادي نشر خطابات التهويل والترويع.¹

5- التداعيات الاقتصادية للأزمة على الإعلام

صاحبت الأزمة الصحية العالمية أزمة اقتصادية خانقة طالت اقتصاديات وسائل الإعلام، ويمكن أن تؤدي هذه الأزمة إلى القضاء على الصحافة المطبوعة أو الورقية؛ وتسريع المرحلة الانتقالية التي تشهد موت الصحف الورقية. فبينما دخلت فرنسا في العزل، تراجع مبيعات الصحف بنسبة 24 في المائة الاثنين 16 مارس، و 31 في المائة الثلاثاء 17 مارس، كما ذكرت مجموعة التوزيع "بريستاليس". وقال المؤرخ باتريك إيفنو أن "الصحف ستموت أو تعيد تجمعها وكل شيء مرهون بمدة الظاهرة". وأضاف: "لكن وسائل الإعلام التي تعتبر جديرة بالثقة ستستفيد عبر مضاعفة عدد اشتراكاتها الرقمية".²

في فرنسا تم إغلاق بعض نقاط بيع الصحف منذ 17 مارس، وقام آخرون بتقليص ساعات عملهم وتحفيز النشاط. تسبب الحجر لمعظم بائعي الصحف انخفاضاً حاداً في نشاطهم. وقد أدى انتشار الوباء بوسائل الإعلام المطبوعة إلى تغيير كامل في عملها والبحث عن توازنات اقتصادية جديدة؛ بين تراجع الصحافة المطبوعة والاتجاه أكثر للرقمي. انخفضت حجم مبيعاتها بشكل كبير في الفترة الماضية: من 10.8 مليار يورو إلى 6.8 مليار يورو بين عامي 2007 و 2017 [GMIC - Press&Statistics]. أي انخفاض بنسبة 37٪ مع التراجع المستمر في المبيعات للقراء والمعلنين منذ 2017. فمن التأثيرات المباشرة للوباء وتطبيق الحجر الصحي انخفاض "مبيعات النسخ" للصحف الدورية، ورغم مواصلة بعض أكشاك الصحف نشاطها؛ إلا أنها عمدت إلى تقليص ساعات العمل. بالنسبة لفرنسا؛ وفقاً لميديا فرانس، حوالي 5590 نقطة بيع أو ربعها؛ ظلت مغلقة خلال الحجر الصحي منذ 20 مارس من عام 2020. ونتيجة عدم إمكانية بيع الصحف المحلية في دكاكين التبغ والأكشاك المغلقة، حاولت بعض الصحف اليومية الإقليمية استبدالها بالمخابز في العديد من البلديات. وقد شهدت مبيعات الصحف اليومية انخفاضا بنسبة 43.7٪ والمجلات بنسبة 45.4٪. أضف إلى ذلك عدم إقبال المعلنين على الصحف، فمنذ 17 مارس اختفت تقريباً كل الإعلانات من الصحف اليومية. وهذه الظاهرة ليست فريدة فطالما أدت الأزمات الكبرى إلى غياب المعلنين مثلما حدث خلال حرب الخليج في أوائل التسعينيات. تعد الصحف اليومية المتأثر الأكبر بإجراءات الغلق وتمديد الحجر؛ كما تأثرت أيضاً جميع الدوريات وكذلك النسخ الرقمية. وعلى سبيل المثال؛ أعلنت 'باريس نورماندي'، اعتباراً من 18 مارس، عن إحالة موظفي إدارتها إلى بطالة نسبية مؤقتة؛ خاصة بعدما عانت خلال السنوات الماضية من انخفاض مداخيل الإشهار. وفق ما أعلنه معهد البحوث والدراسات الإعلانية (Irep) في بيان صدر في 8 مارس 2020 شهد سوق الإشهار انخفاضا مقدرا بنسبة 4.1٪ مقارنة بعام 2019.³

¹ - عثمان لحياني: كورونا يخلي غرف التحرير ويغير الأولويات. موقع العربي الجديد . (27 03، 2020). تاريخ الاسترداد 27 11، 2020، من

[/https://www.alaraby.co.uk](https://www.alaraby.co.uk)

² - جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم. م. س. د.

³ JEAN-MARIE CHARON. *La presse écrite à l'épreuve de la pandémie* 26.03.2020 consulté 25.02.2021. <https://www.alternatives-economiques.fr/presse-ecrite-a-lepreuve-de-pandemie/00092248>.

حسب ما ورد في تقرير لوكالة 'فرانس بريس' عرفت وسائل الإعلام في إفريقيا خلال جائحة كورونا؛ تراجعاً في الإيرادات وتزداداً في حالات التسريح من العمل. والاستغناء الأخير عن الموظفين في اثنتين من أكثر الصحف المستقلة شعبية في نيجيريا صحيفتا "ذا بنش" و"فانغارد". وهذه القرارات هي الأخيرة التي تهم الصحف النيجيرية التي تعدّ واحدة من الصحف الأكثر حيوية في القارة، بعدما تسببت التداعيات الاقتصادية للوباء في انخفاض عوائد المبيعات والإعلانات. وقال رئيس اتحاد الصحفيين في لاغوس قاسم أكينريتي "فقدنا مئات الوظائف في الأشهر الأربعة الماضية في وسائل الإعلام النيجيرية". في كينيا، خفّضت بعض شركات الإعلام الأجور بما يصل إلى النصف. وفي أوغندا، توقفت مطبوعة أسبوعية رائدة عن طباعة أعدادها. وفي ناميبيا تم تخفيض ساعات العمل وتسريح الموظفين الزائدين عن حاجة العمل.

وأتارت سرعة وشدة الأزمة الحالية دعوات لخطة إنقاذ حكومية، وخصصت الصحف الخاصة في الكاميرون يوماً "للصحافة الميتة" للتنديد بعدم اتخاذ إجراءات من قبل الحكومة. استجابت السلطات في بعض البلاد لطلبات المساعدة؛ ففي كينيا كشفت هيئة الرقابة الوطنية الكينية الجمعة عما أسمته صندوقاً "تاريخياً" بقيمة أقل من مليون دولار لمساعدة حوالي 150 وسيلة إعلامية على تجاوز العاصفة. وأكد رئيس المجلس الإعلامي الكيني ديفيد أومويو إن "تحدي كوفيد-19 قلص حياة محطات التلفزيون والإذاعة". وناشدت نقابة الصحفيين النيجيريين الرئيس محمد بوحاري لتقديم مساعدة طارئة لوسائل الإعلام المنكوبة. وقال المحاضر في جامعة لاغوس 'أولوبونميأجيادي' تعليقاً على الوضع في نيجيريا أنّ "تلقي أموال الإنقاذ من الحكومة في هذا الوقت سيعرض استقلاليتهم وحرّيتهم للخطر".¹

كما عصفت الأزمة المالية بعدد من وسائل الإعلام الفلسطينية الخاصة، منها إذاعة "أجيال"، وفضائية "النجاح"، ما أدى إلى التضحية برموز وكوادر إعلامية عريقة على الساحة المحلية؛ وإنهاء عمل 28 صحفياً فلسطينياً في الإعلام المحلي بعد شهور من المعاناة المستمرة؛ إثر أزمة مالية عصفت بها جراء جائحة "كورونا" التي أصابت معظم اقتصاديات الدول، فقد أفلست كثير من الشركات الصغيرة وحاصرت المتوسطة منها. حيث أعلن 17 صحفياً، في الفضائية التابعة لجامعة النجاح الوطنية (غير حكومية)، في مدينة نابلس (شمال)، انتهاء عقودهم، بعد مسيرة مهنية حافلة. وكانت إدارة الجامعة قد بررت القرار في بيان للأناضول، بأنه يأتي جراء الأزمة المالية الناجمة عن جائحة كورونا. وأشارت أنه تقرر تحويل الفضائية إلى تلفزيون محلي وإذاعة، وإعادة هيكلة العاملين فيها، وتم إغلاق مكاتب الفضائية في باقي المحافظات الفلسطينية. وسبق أن أعلن 11 صحفياً في إذاعة "أجيال"، برام الله (وسط) انتهاء عملهم بالإذاعة بعد شهور من المعاناة المستمرة من ضيق الحال وقلة الأعمال لما تمره المناطق الفلسطينية من اغلاقات وحظر تجوال. وقد دفعت إدارة إذاعة أجيال بجميع العاملين للاستقالة والحصول على نهاية الخدمة، بخمسة 10 بالمئة من مستحقاتهم باتفاق مع العاملين. ووقعت نقابة الصحفيين العام الماضي اتفاقاً مع وزارتي العمل والإعلام في الحكومة الفلسطينية، لعدم تسريح الصحفيين من عملهم وضمان رواتبهم أو دفع 50 بالمئة منها على أن تبقى حقوقهم مصونة بعد تحسن الحال.

وحسب نقيب الصحفيين الفلسطينيين ناصر أبو بكر؛ أن ما ساهم في تعميق الأزمة المالية التي تعصف بعدد كبير من وسائل الإعلام الفلسطينية الخاصة، إثر جائحة كورونا، هو التحول الذي طرأ على الترويج للمنتجات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بدلا

¹ - AFP. تداعيات كوفيد-19 ثقيلة على وسائل الإعلام في إفريقيا. م. س. ذ.

عن الإذاعات والجرائد والمجلات والتلفزيونات. وقد طلبت النقابة من الحكومة الفلسطينية إعفاء المحطات الإذاعية والتلفزيونية من رسوم الترددات السنوية، لاستثمار المبلغ كرواتب للعاملين. علماً أن قطاع الإعلام الخاص يوفر فرص عمل لنحو 600 صحفي¹.

خاتمة

أبرزت أزمة كورونا تداعيات عديدة على الإعلام منها البنيوية والهيكلية والمهنية والمالية كذلك، وقد شكلت أزمة كورونا امتحاناً حقيقياً للإعلام الذي يفتقد لاستراتيجيات التعامل مع الأزمات؛ بسبب ضعف التكوين وقلة التجربة والخبرة في مجابهة الأزمات الصعبة خاصة المتعلقة بالصحة والبيئة والمناخ. من جهة أخرى لم تتعامل السلطات الحكومية في أغلب دول العالم بشكل أكثر انفتاحاً مع الأزمة الوبائية في إدارة المعلومة، حيث تبنت وسائل الإعلام الرسمية والحكومية في غالبية الدول المقارفة السلطوية لإدارة الأزمة في بعدها الاتصالي ولم تستند غالبياً إلى أية إستراتيجية واضحة؛ وأكثرها مارست الغلق والتظليل والدعاية والردع؛ فقد واجه الصحفيين المهنيين العديد من الصعوبات في أداء مهامهم خلال الأزمة؛ نتيجة سياسة الغلق على مصادر المعلومات وتخفيف كل منابع الأخبار واحتكار مصادر المعلومات بما فيها المحلية، حيث فرض على وسائل الإعلام الخاصة بيانات خلية الأزمة ومختلف الهيئات الرسمية المشرفة على تقديم المعلومات والأرقام دون مساءلات وأسئلة ومناقشة، وهذا ما جعل المعالجة الإعلامية لازمة كورونا مكتفية بالمستوى الثاني من التغطية وهو عرض الحصيلة اليومية للإصابات الجديدة بالفيروس؛ والتوعية بمخاطر الفيروس؛ وأهمية الحجر الصحي. وهو الأمر الذي جعل المعالجة الإعلامية بعيدة عن الإدارة الاحترافية للأزمة.

ومن هذا المنطلق نشير إلى أهمية بناء الاستراتيجيات الاتصالية في مثل هذه الأزمات؛ للتصدي لتدفقات الإشاعات والأخبار الكاذبة؛ ومواجهتها احترافياً ومهنيًا وليس بفرض العقوبات وقمع الصحفيين ومنعهم من ممارسة حقهم في التعبير الحر عن آرائهم، كما تستوجب ضرورة التعاطي مع الأزمات الصحية مستقبلاً اعتماد الإعلام المفتوح الذي يركز على الشفافية في التعامل مع الأخبار؛ مع الاهتمام بالتحقيق الصحفي في إطار التأسيس لإعلام أساسه الصدق والدقة في مناقشة الموضوعات الصحية بأسلوب علمي متخصص وممنهج.

¹ - قيس ابو سمرة: كورونا تعصف بالإعلام الفلسطيني، وكالة الاناضول. (05، 01، 2021). تاريخ الاسترداد 03، 01، 2021. من.

8https://www.aa.com.tr/ar/

قائمة المراجع

• الكتب والمجلات:

عزي عبد الرحمن: دراسات إعلامية، مركز الطباعة للجامعة الجزائرية، الجزائر، 1992.

عبد المجيد قدرى: اتصالات الازمة وادارة الازمات، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، 2008.

• المواقع:

- جائحة كورونا تشكل تحدياً لوسائل الإعلام في العالم. (28 03، 2020). تاريخ الاسترداد 25 02، 2021، من <https://www.dw.com/ar/%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9--52948459>.
- محمد الامين موسى: محددات تغطية الفضائيات الاخبارية لجائحة كورونا في عصر الرقمنة، مركز الجزيرة للدراسات الإعلامية، 9 ابريل 2020، ص 6-7. <https://studies.aljazeera.net/ar/profile/985> الاستشارة 20-01-2021 الساعة 10:00
- تقرير المرصد الاورومتوسطي لحقوق تقرير المرصد. (05، 2020). حرية الصحافة قيود متزايدة باسم كورونا. تاريخ الاسترداد 27 11، 2020، من <https://euromedmonitor.org/uploads/reports/coronamedia.pdf> الساعة 11:00
- سلمى حامد: حين تصبح وسائل الاعلام ضحية جديدة لازمة كورونا. (3، 2020). تاريخ الاسترداد 18 2، 2021، من <https://www.dw.com/ar/%D8%AD%D9%8A%D9%86-%D8%AA%D8%>
- كورونا حرية الصحافة وفيرس كورونا. (03 05، 2020). موقع AFE. تاريخ الاسترداد 28 11، 2020، الساعة 10:00 من <https://www.afemena.org>
- تداعيات كوفيد-19 ثقيلة على وسائل الإعلام في إفريقيا. AFP. (07 06، 2020). تاريخ الاسترداد 27 02، 2021، من <https://www.france24.com/ar/20200607-%D8%AA%D8%AF%D8%A9%D8%A6%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9--52948459>
- عثمان لحياي: كورونا يخلي غرف التحرير ويغير الاولويات. موقع العربي الجديد. (27 03، 2020). تاريخ الاسترداد 27 11، 2020، من <https://www.alaraby.co.uk>
- قيس ابو سمرة: كورونا تعصف بالإعلام الفلسطيني، وكالة الاناضول. (05 01، 2021). تاريخ الاسترداد 01 03، 2021. من <https://www.aa.com.tr/ar/>
- Marcus Dupont-Besnard. Experts et coronavirus : les médias doivent cesser leurs invitations irresponsables, consulté 25-02-2021. <https://www.numerama.com/sciences/661379-experts-et-coronavirus-les-medias-doivent-cesser-leurs-invitations-irresponsables.html>.
- Xavier Eutrope : Les médias américains doivent se demander s'ils ne reproduisent pas le schéma, (08-06-2020), consulté le 23-02-2021. <https://larevuedesmedias.ina.fr/medias-americaains-couverture-mediatiue-politique-trump-biden-coronavirus>.
- JEAN-MARIE CHARON. La presse écrite à l'épreuve de la pandémie 26.03.2020 consulté 25.02.2021. <https://www.alternatives-economiques.fr/presse-ecrite-a-lepreuve-de-pandemie/00092248>.